بعض من الشواهـــــد الأثريـــة بمدينة الرياينة (الجبل الغربي)

د. الــزّروق سالم عون. كلية التربية/الرياينة.. جامعة الزنتان

المقدمـــــــــــة:

تقـــــع مدينة الرياينـــــــة على سطح الجبل الغربي الذي يعرف بالعديد من التسميات(المحلية–الإدارية)، وبالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط ومدنه الرئيسة، جعلها تشهد استقرار العديد من المجموعات البشرية التي تركت الكثير من الشواهد الأثرية التي تدل عليها، فإذا ما دست على صخرة مستوية وجدتها ملساء من أثر من مشى عليها قبلنا، وإن سرت في درب وجدت أثراً من شقه وسواه، وكلما تجرعت شربة من عين ماء وجدت بصمات أنامل من حفرها ورتب حجارتها، وإذا سندت ظهرك على جذع زيتونة عملاقة، تذكرك بأنك لم تغرسها، وكلما لجاءت إلى تجويف في جبل أو كهف في الأرض تجده متغيرا لونه من أثر دخان من سبقنا عليه، بالإضافة إلى الآثار الواضحة المعالم.

إن المستوطنات البشرية وما احتوته من آثار ورفات موتى، تعتبر مادة أساسية لمعرفة الماضي؛ لأنها تحتضن سر الحياة التي كانت تدب على سطح الأرض في فترات سحيقة من القدم، لذلك تعددت مظاهر هذه الحياة الإنسانية من خلال ما نجده على سطحها، وفي طيات تربتها من أواني فخارية، وفؤوس حجرية، وخطوط كتابات متنوعة على الصخور، وغيرها، وأكبر دليل على ذلك الشواهد الأثرية التي ما تزال تقاوم عوادي البيئة وتغيراتها، والإنسان بجهله وعصبيته، وهو ما يلاحظ في مناطق الجبل الغربي بصفة عامة ومنها الرياينة، وهو ما دعا الباحث لتسليط الضوء عليه، ودق جرس الإنذار، لما يتعرض له هذا التراث الإنساني من محاولات التخريب والطمس، لذا تم التطرق للشواهد الأثرية بمدينة الرياينة من ناحيتين: الرياينة وأهمية موقعها للاستيطان البشري- وبعض من الشواهد الأثرية بها.

مشـــــــــكلة البحث:

إن الجبل الغربي يتمتع بتضاريس مكنت ساكنيه منذ القدم من التأقلم والعيش به من حيث أنواع التربة الرملية في السهل والتربة الحمراء الرسوبية في منطقة الظاهر والتربة الطينية في منحدرات الجبل[1]، ووجود المياه سواء السطحية المتمثلة في

الأمطار حيث تفنن ساكنو الجبل في الاستفادة منها عن طريق السدود أم حفر الصهاريج الكبيرة، والمياه الجوفية المنسابة في العيون، بالإضافة إلى تنوع المحاصيل الزراعية سواء الموجودة به أم تلك التي أدخلتها ثقافات الشعوب التي استوطنته، فتطالعنا المراجع بأن " الفينيقيين قد أدخلوا العديد من النباتات إلى المنطقة الليبية وأهمها: التين، الزيتون، الرمان، اللوز، الخوخ، البرقوق..إلخ، لملائمتها لمناخ المنطقة"[2]، وقد أكد ابن خلدون(1332-1382) بأن" الأرض التي تمتد من طرابلس إلى طنجة كانت مظللة بالأشجار وعامرة بالقرى المتجاورة"[3]، وكذلك أشار ليون الأفريقي(1483-1550) إلى أن جبل غريان "ينتج كثيرا من الزيتون الذي تستخرج منه كمية عظيمة من الزيت تنقل إلى الإسكندرية"[4]، ولذا كان الجبل ولا زال محل استيطان للكثير من الشعوب.

إن منطقة الجبل بصفة عامة ومنها الرياينة، لم تدرس من الناحية الأثرية لافتقارها للمراكز البحثية المتخصصة، مما جعلها مهملة، وعدم اهتمام بهذه الشواهد الحضارية، وتعرضها للعديد من عوامل الهدم مثل: اتجاه الكثير من الشباب خلال هذه الفترة المعاشة إلى البحث عن الكنوز المخبأة تحت الأرض، وهدم الشواهد التي فوقها، وكذلك الاتجاه المرتبط بالمجموعات الدينية التي تنظر إلى الشواهد الأثرية؛ بأنها عبارة عن أصنام، وكل من يحاول ترميمها، وحمايتها، ينعت بالعديد من الصفات، أقلها عبادة الأصنام، أو عبادة الحجارة، أو المحافظ على الشركيات، وغيرها من الألقاب التي تجعل المهتمين بها يحجمون عن المحافظة عليها، لذلك تبرز مشكلة البحث في التساؤلين التاليين:

1- ما أهمية موقع مدينة الرياينة للاستيطان البشري؟

2- ما أنواع الشواهد الأثرية بمدينة الرياينة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على:

1- أهمية موقع مدينة الرياينة للاستبطان البشري .

2- أنواع الشواهد الأثرية بمدينة الرياينة.

أهمية البحث:

1- إشعار أهالي الجبل بصفة عامة بأهمية موقع الجبل كمركز من المراكز الحضارية التي شهدت استيطان الإنسان منذ عصور موغلة في القدم.

2- تذكير شباب مدينة الرياينة بأهمية موقع مدينتهم مما جعلها مركـــزا للاستقرار عبر التاريخ وما يوجد فيها من شواهد ومعالم حضارية للمحافظة عليها.

3- يحاول الباحث عن طريق الكتابة والتصوير وتحديد المواقع لهذه الشواهد أن يتطرق إلى بعض الشواهد الأثرية الحضارية بهذه المدينة لعلها تكون بادرة تحتذى في الجبل الغربي للحفاظ على هذا الإرث الكبير.

4- تنبيه الجهات المسؤولة على كافة الأصعدة المحلية والدولية لما تتعرض له الشواهد الحضارية من حملات تخريب بكافة السبل؛ لاتخاذ الوسائل المناسبة للمحافظة عليها؛ لأنها إرث حضاري يجب أن يستفيد منه كل البشر في الوقت الحالي وفي المستقبل.

حدود البحث:

1- الحدود الموضوعية: بعض من الشواهد الأثرية.

2- الحدود المكانية: مدينة الرياينة.

3- الحدود الزمنية: منذ ما قبل الميلاد إلى نهاية العهد العثماني الثاني1912م.

أدوات جمع البيانات:

نظرا لعدم دراسة هذه الشواهد من قبل جهات مختصة؛ فإن الباحث قام بجمع البيانات من خلال البحث المكتبي لما هو موجود في المصادر والمراجع، والزيارات الميدانية للوصف الخارجي فقط، وتتبع الروايات الشعبية، وتقديم تحليلات شخصية بناء عليها.

الإطار النظري

المحور الأول- الرياينة وأهمية موقعها للاستيطان البشري:

تقع مدينة الرياينة على سطح الجبل الغربي الذي يعرف بالعديد من التسميات(المحلية –الإدارية) فمن الأسماء المحلية: جبل نالوت– جبل نفوسة- جبل يفرن- جبل غريان..الخ، وقد تتسع بعض المسميات لتطغى على غيرها أو تتقلص لتعبر عن اسم المدينة نفسها، ومن الأسماء الإدارية: الجبل الغربي- الجبل الطرابلسي.

أما مدينة الرياينة فهي تتموضع وسط هذا الجبل وهي عبارة عن تجمع سكاني يبلغ عدد سكانها حوالي 22.000نسمة في مجموعة بلدات ممتدة وهي: أولاد علي- أولاد أبو حسين- أهل العين- أولاد عبد العزيز- الأفاضل- العقيبة– أولاد ريان، وهي تتميز بأنها أرض زراعية.

ومن المتعارف عليه أن منطقة الجبل الغربي بصفة عامة والرياينة بصفة خاصة تتحصل في بعض السنوات المطيرة على عدة مواسم للحصاد ما بين سهل الجفارة في الشمال ومنطقة الظاهر على سطح الجبل، وأودية المرموثة في الجنوب؛ لاختلاف درجات الحرارة بينهم، وكذلك لوفرة المياه الجارية في العيون(في العهود السابقة)،

بحيث يكاد كل تجويف في جبل الريانة به عين ماء مما أدى إلى تنوع الأشجار والمحاصيل الزراعية، وخاصة أشجار الزيتون، وأشجار التين، والنخيل، ولذا ساد ساكنيها طابع الاستقرار، وتكوين مستوطنات بشرية منذ الأزمنة الغابرة، وتشير بعض الأدلة إلى أنها من ضمن المزارع المحصنة في العهد الروماني، فمن المعلوم أن الرومان أقاموا خطوط دفاع على طول الصحراء لحماية المزارع في الجبل بلغت ثلاثة خطوط هي:

الخط الأول: وهو أكثر الخطوط الدفاعية تعمقا نحو الجنوب ويصل بين قلعة بونجيم وقلعة القرية الغربية وسيدامي (غدامس) وقام ببناء هذه القلاع جنود من فرقة أوغستا الثالثة[5].

الخط الثاني : وأقيم في عهد اسكندر سفيروس ويمتد شمال الخط الأول لحماية مزارع الحدود، حيث منحت الدولة قطعا من الأرض لبعض الأشخاص شريطة أن يقوموا بالدفاع عن الحدود[6]

الخط الثالث: يسير هذا الخط على طول حافة الجبل الغربي ابتداء من لبدة حتى قابس بتونس مارا إلى الشمال من هضبة غريان وهضبة ترهونة وعندما تولى(دقلديانوس 284- 305م) سحبت فرقة اوغستا الثالثة وأنيط الدفاع عن المنطقة إلى قوة محلية مقيمة في المنطقة ومن أمثلة مناطق الدفاع ما هو موجود في سانية ذويب[7]، وهذه الفرقة اوغستا الثالثة يرجح بأنها كانت تعسكر في منطقة أور(العوينية)[8]، وبالتالي من خلال معطيات هذه الخطوط نجدها تحيط بمدينة الريانة، حيث سانية ذويب في الجهة الجنوبية الغربية ومعسكر أور(العوينية) في الجهة الشرقية، مرورا بمعسكر البنية(سوف يتم الإشارة إليه فيما بعد) الذي يقع جنوب الريانة إضافة إلى قصر وأمس في الجنوب الشرقي، بالإضافة إلى الهناشير الدالة على أنها مواقع حراسات مثل هنشير الديسة[9].

إن هذه المنطقة التي تقع بين هذه النقاط هي من أخصب الأراضي في الريانة وكدليل على ذلك نشير إلى ما ذكره الصحفي الإيطالي(ماريو كورسي) أثناء مروره بها في رحلته عام 1913م منطلقا من طرابلس إلى غريان وعبر الجبل لتنتهي بنالوت، وبعد مروره من يفرن إلى الخلائفة ومنها في اتجاه الريانة كتب" وصلنا في حوالي منتصف النهار...، إلى سهل شاسع ألا وهو سهل الريانة الذي تنتشر فيه حقول صغيرة تم حراثتها حديثا...، وتعتبر الريانة واحدة من أخصب مناطق الجبل لابد طبعا لساكنة لها ميولات فلاحية بارزة، أن تعيش على هذه الأرض، ومنها ما يزيد من توهمي أنني أعبر إحدى المناطق الخضراء الكثيرة المعروفة في وسط إيطاليا، بينما أنا كذلك فإذا بمعلمة رومانية

أخرى تزيد وهمي قوة...، حيث تتلاحق عدة أكمات صغيرة يغطيها خباز وأزهار أقحوان تبدو كأصداف من ذهب وخشخاش أحمر وأزهار النبتلي العطرة، وهي تبدو أي: الأكمات كأنها أمواج خضراء لبحر شديد الخضرة، ويتموقع الاحتلال الروماني هنا أيضا بالضبط مع الجزء الأكثر خصوبة من البلد"[10]، ولعل التطرق إلى ما كتبه الشماخي في كتابه(القصور والطرق لمن يريد جبل نفوسة من طرابلس عام 1303هـ-1885م) أثناء مروره بمنطقة الرياينة في أواخر العهد العثماني الثاني" تدخل الآن إلى الرياينة وهم مالكية وبداية من الشرق، القصر الأول يسمى: أولاد علي يقع في رأس الجبل، ومسجد للعرب، وفي وسط الحفة عين ماء بها نخل قليل، ويشرب منها أولاد علي، وعندهم صهاريج كثيرة، وخلف القصر قصبة الغرابة[المغاربة] يحيط بها الزيتون، ومن هناك غربا تأتي أولاد بحسين فيها قصر كبير به مسجدان،...، ويقع على رأس الحفة في أسفله عين ماء كبيرة جدا، بها نخيل كثير، وبقربها قصر آخر كبير يقال له أهل العين،...، وفي رأس الحفة من الغرب أولاد عبد العزيز وبه مسجد، أمامه صهريج ماء المطر، وعندما تفرغ مياه الصهريج يجلبون الماء من عين تحت الحفة،...، قصر واحد يسمى: الفاضل يبعد عن أولاد عبد العزيز مشي نصف ساعة، وهو يقع في وسط الزملة، يحيط به الزيتون، وقصر آخر يسمى العقيبة، يوجد على رأس الجبل به مسجد، تحته عين ماء كبيرة، وبه نخيل كثير، ويشرب منها أهل القصر، وأمام قصر أولاد ريان، والذي يوجد على رأس الجبل، وتحت القصر عين ماء كبيرة بها نخل كثير، وهي الأخيرة من مديرية يفرن من الغرب، وأولاد ريان عندهم خربة أمامهم يقال لها خربة شماخ وهم أجداد صاحب هذا الكلام والآن لا يوجد به أحد سوى مزارع التين"[11]، كذلك ذكر علي رضا معين في كتابه(طرق المواصلات في طرابلس الغرب،1918) وفرة المياه في الرياينة وتحدث على قرية أهل العين حيث تقع هذه القرية على مساحة الوادي ومساكن الحجر كثيرة، وكذلك المواجل(الصهاريج) "وعند مجرى الوادي توجد واحة بها مزروعات وفيرة ومياه دائمة الجريان مكونة ساقية بها ومياهها جيدة وتنبع من عين قريبة"[12].

إن موقع الرياينة وقربها من ساحل البحر الأبيض المتوسط جعل منها مكاناً مناسباً للاستيطان البشري عبر التاريخ، فهي قريبة من الساحل حيث مدن الاستقرار المعروفة، فهي تبعد عن صبراته(75) كيلو متر، وكذلك عن طرابلس(145) كيلو متر، وفي وسط الجبل على خطوط الطرق والمسالك العابرة من الشرق إلى الغرب أو من الشمال إلى الجنوب لاسيما حركة القوافل التجارية الشهيرة، مما جعلها تشهد استقرار العديد من

المجموعات البشرية التي تركت الكثير من الشواهد الأثرية الحضارية التي تدل عليها ابتداء من: البربر– الفينيقيين- الرومان- العرب الفاتحين- العرب المهاجرين- العثمانيين.

المحور الثاني ـ بعض من الشواهد الأثرية بمدينة الرياينة:

أولا ـ الشـــــواهد الأثرية للبربـــــر: من المتعارف عليه بأن البربـــر هـــم أقوام سكنت هذه المنطقة منذ فترات موغلة في القدم ، وشواهد وجودهم في أرض الرياينة كثيرة ، ومتعددة، بداية من المباني ولعل أشهرها(قصر أدر) وهو يقع في الجهة الشمالية الشرقية من بلدة أولاد علي على سطح الجبل، وهو يتكون من العديد من الحجرات المبنية بالحجارة ومادة الجبس مستفيدا من التجاويف الصخرية التي وفرها الموقع وقاموا بثلم الجبل من أجل تحصين هذا الموقع، وتوجد في سقوف وأقواس الأبواب خطوط ونقاط للغة(البربرية) والصورة الآتية تبين الحجرات،(أخذت هذه الصور من قبل الباحث سنة 2008م):

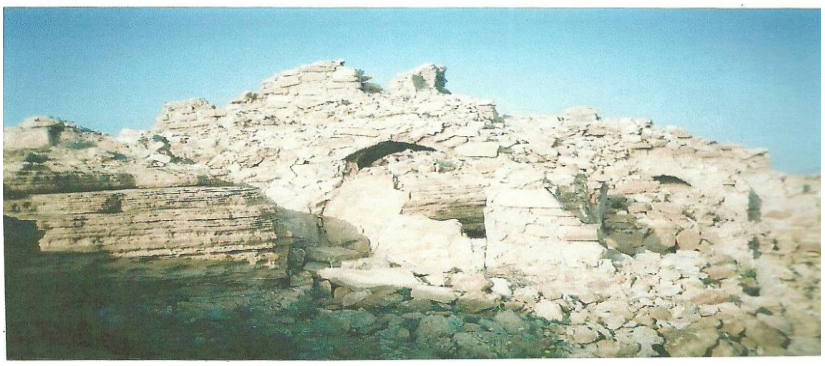

صورة رقم(1) مأخوذة من الجهة الجنوبية الغربية توضح حجرات وبعض الأقواس.

جدول رقم(1) يوضح الحروف العربية وما يقابلها من الحروف التارقية[13]:

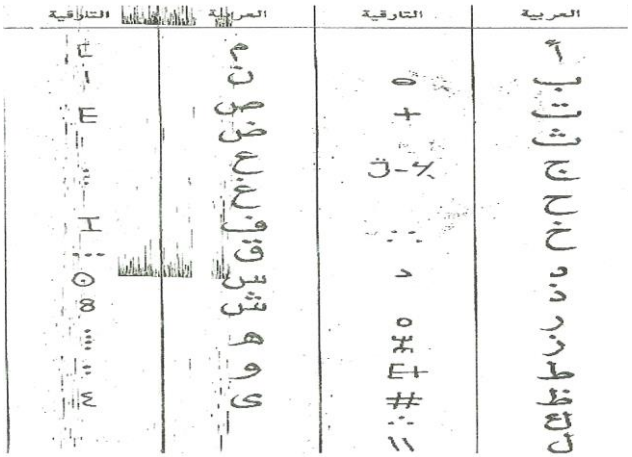

فعند النظر إلى هذا الجدول نلاحظ وجود نقاط عديدة في عدة حروف مثل(ع,غ) تقابلها نقطتان، والقاف(ق) تقابله ثلاث نقاط أفقية، والهاء(هـ) تقابله أربع نقاط عمودية والواو(و) نقطتان عموديتان، ويوجد العديد من النقاط المتدلية نحو الأسفل، والخطوط المتوازية، والمتقاطعة والملتوية بشكل متناسق، مثلا: في القوس الذي في الحجرة الشرقية نحو الشرق ويوجد نقش ونتو في الجبس متدلي نحو الأسفل بهذا الشكل:

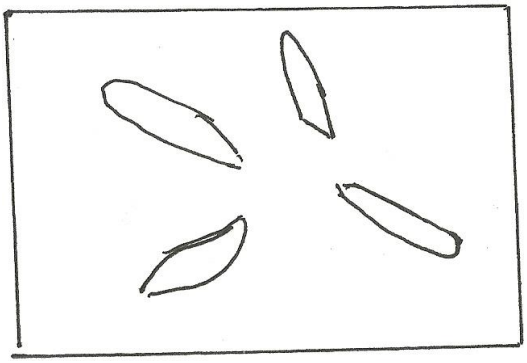

شكل رقم(1) نتو في القوس على هيئة أربعة نقاط متقابلة

ويتجـــــه نحو الجنوب في الزاوية الغربية من سقف القوس بمقارنته مع جدول اللغة التارقية يمكن أن يقابل الحرف(خ) الذي هو بهذا الشكل:

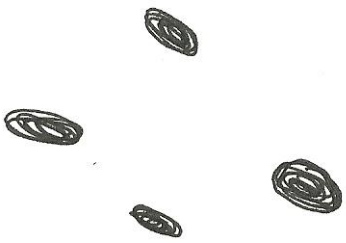

شكل رقم(2) يوضح تقابل النتواءات المتدلية في قوس الحجرة الشرقية

أو يقابل الحرف(ك) انظر الجدول السابق فربما هو اسم لصاحب هذه الغرفة، وكذلك يوجد في سقف الغرفة الداخلية إلى الشمال الشرقي من هذا القوس نفس السقف هذا الشكل:

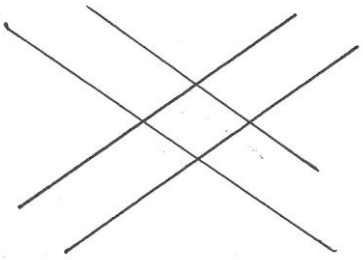

شكل رقم(3) خطوط متوازية ومتقاطعة

فهو يقابل الحرف(ظ) أو هو زخرفة في كامل السقف ونتيجة إلى سقوط جزء من السقف بقيت هذه العلامات بشكلها الحالي، وكذلك يوجد نقش بارز على الجهة الشمالية للقوس يكاد يطابق النقش المقابل له والصورة التالية توضح هذا النقش:

صورة رقم(2) خطوط متوازية ومتعرجة ومتقابلة في القوس بالحجرة الجنوبية

ثانيا- الشواهد الأثرية الفينيقية : إن الفينيقيين تواصلوا مع شمال إفريقيا منذ كانت سفنهم تمخر عباب أمواج البحر الأبيض المتوسط وتعود أدراجها إلى شواطئه الشرقية في حركة تجارية عرفوا بها منذ الألف الأول قبل الميلاد، واستقروا في الشمال الأفريقي إلى أن دمرت قرطاج على يد الرومان في الحرب البونية علم 146ق.م وتركوا شاهدا أثريا في مدينة الرياينة يقع شرق بلدة أولاد علي بجوار الطريق القديمة، ويعرف عند الأهالي(الخربة)، ولكن عند الاطلاع عليه تبين بأنه عبارة عن عمودين متقابلين تعلوهما عارضة أفقية وأمامهما مستطيل به ساقية مربعة، وعند مقارنتها مع ما وجده(ه.س. كاوبر والمنشورة في كتابه: مرتفع الآهات الجمال)[14] في بعض المواقع التي زارها

في هضبة ترهونة ذهب بأنها مذابح فينيقية، فهي مثل الصفات التي في هذا الشاهد بمدينة الرياينة، لذلك يعتقد الباحث بأنه مذبح فينيقي، بالرغم من وجود دراسات أدحضت ما ذهب إليه(كاوبر) واستنتجت بأن هذه النصب معاصر زيتون[15] إلا أن الباحث يميل إلى استنتاج(كاوبر) القائل بأنها مذابح وهو ما يطابق اسم هذا المكان(ززيرة) القريب من التفسير الشعبي بالمزرة أي : المذبحة التي تذبح فيها الحيوانات

(نتمنى أن تدرس المنطقة أثريا قبل اختفائها بسبب التخريب السريع ، وجميع الصورة أخذت سنة 2008م)

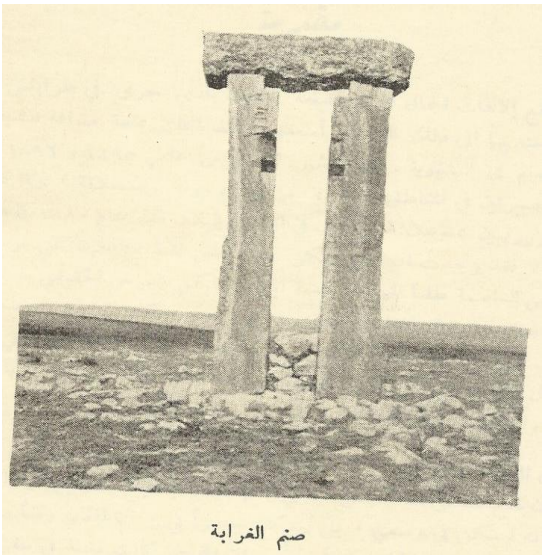

صورة رقم(3) تمثل مذبحا أو صنما نقلا عن كاوبر: مرجع سابق، ص 7.

صورة رقم (4) مأخوذة من الجهة الجنوبية توضح مذبح الززيرة،

من خلال الصورة أعلاه نلاحظ العمود المثقوب تقريبا في مكانه الأصلي أما العمود الأخر فواضح بأنه متحرك من مكانه وتظهر قاعدته محطمة إلى الجنوب منه، أما العارضة الأفقية فيبرز منها جزء فقط بجوار العمود المثقوب، أما الصخرة الواقعة ناحية الشرق فهي كانت مربعة وفي حوافها ساقية إلا أنها محطمة ومتحركة من مكانها وهي تشبه الأشكال التي رسمها(كاوبر) في مذابح هضبة ترهونة وقارنها مع صخرة مذبح الززيرة بالرياينة وهي على النحو التالي:

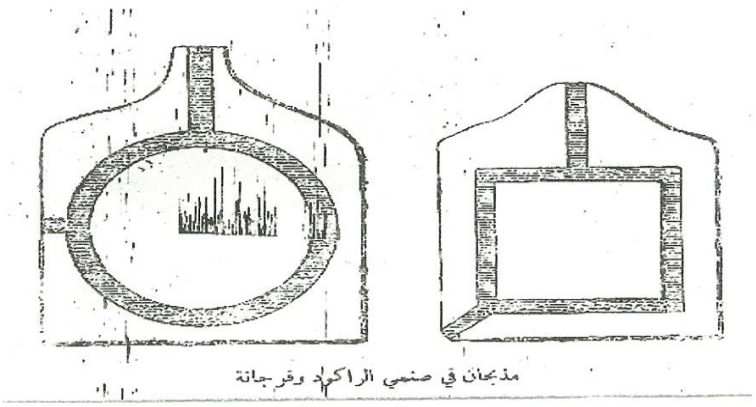

صورة رقم(5) رسم للمذابح التي وجدها(كاوبر) في هضبة ترهونة، ص 130)

صورة رقم(15) تبين مذبح الززيرة ولكن نصفه محطم الصورة من الجهة الغربية وهو يقع إلى الشرق من العمودين.

ثالثا- الشواهد الأثرية الرومانية:

إن الرومان تمكنوا من احتلال الشمال الأفريقي بعد انتصارهم على الفينيقيين عام 146ق.م وقد دخلت المنطقة في صراعات بينهم وبين السكان إلى أن أصبح البحر الأبيض المتوسط بحراً رومانياً، عندما امتدت أذرع روما وأطبقت عليه، وخاصة في عهد سبتموس سفيروس(193م-211م) حيث حكم أوسع إمبراطورية رومانية، ثم دخلت هذه الإمبراطورية في صراعات في مختلف الاتجاهات وتعاقبت على الشمال الأفريقي جحافل من عساكر الوندال ثم البيزنطيين إلى أن جاءت الدولة الإسلامية وفتحت هذه المناطق وتم تخليصها من سيطرتهم على يد عمرو بن العاص عام 642 م، ونظراً إلى أن الشواهد الأثرية في مدينة الرياينة لم تدرس من قبل اختصاصيين للتأكد من هويتها أهي رومانية أم وندالية أم بيزنطية؟، لذا يذهب الباحث مع الروايات الشعبية المتداولة حولها بأنها رومانية، ومن هذه الشواهد الرومانية الكثيرة يمكن الإشارة إلى كل من:

1- معبد الززيرة: يقع إلى الشرق من بلدة أولاد علي في منطقة الظاهر على ملتقى الطرق القديمة، وتذهب بعض المراجع بأنه يعود إلى القرن الثالث الميلادي، وهو لا يزال بحالة جيدة يتكون من ثلاث حجرات، وسور من الأمام، ومدخله من ناحية الشرق(الصور مأخوذة سنة 2009).

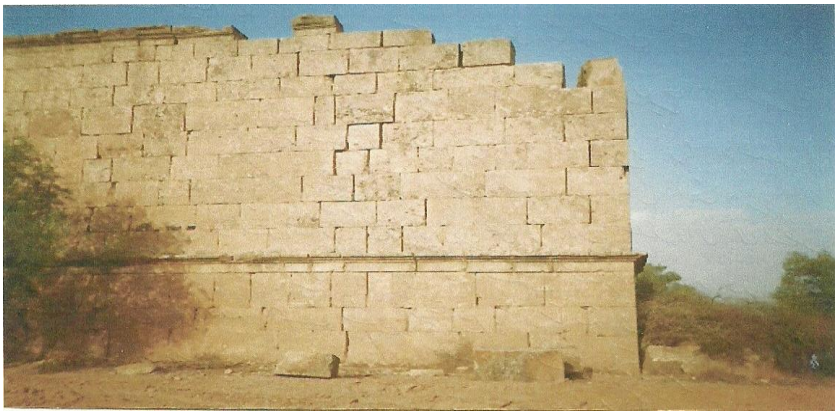

صورة رقم(6) تبين المعبد من الجهة الغربية

صورة رقم(7) تبين المعبد الروماني من الجهة الشمالية ويتضح التخريب في الإطار النصفي.

صورة رقم(8) المعبد من الجهة الجنوبية الشرقية.

إن هذا المبنى يتميز بموقعه الذي يشرف على الطرق القديمة حيث تمر بجواره الطرق الصاعدة من سهل الجفارة عبر موجب الزيتونة وموجب السدرة وطريق الثنية الكبيرة الصاعد من منطقة الخشة هذا بالإضافة إلى طرق الظاهر وخاصة الطريق المار من منطقة أور(العوينية) عبر التلال إلى عين الباقول ثم إلى الغرب وتذهب الروايات الشعبية بأن هناك طريق روماني مرصوف كان يمر من هذا المعبد إلى مسيد خروف حيث مبنى الكنيسة ثم إلى هنشير إحميدة (وهو عبارة عن مذبح أو صنم يشبه صنم الززيرة ولكنه محطم) في الجهة الغربية من البلدة ومنه إلى الغرب[16]، وعرف في

بعض المراجع بأنه" معبد ريفي تم تشييده في القرن الميلادي الثالث[17] وقد وصفه البرغوثي في كتابه(التاريخ الليبي القديم) بأنه المعبد الريفي الوحيد(الباقي) بحالة جيدة نسبيا، وهو مبني من الحجر الكلسي الجيد، على شكل مستطيل في وسطه صالة يقوم على جانبيها جناحان مفتوحان من الأمام، وكان البناء جميعه مسقوفا بعوارض خشبية ثبتت أطرافها في فتحات مناسبة في أعلى الجدران، وأغلب الظن أن هذا السقف الخشبي كان مغطى بطبقة من الطين، ولصالة هذا المعبد الرئيسية باب واحد في واجهتها الأمامية[18] وكذلك مكانه بالقرب من مذبح فنيقي(مذبح/صنم الززيرة المذكور سابقا)، لدليل على أن هذه المنطقة مقبرة فينيقية قديمة واستخدمها الرومان فيما بعد حيث "وجد نقش يخلد ذكرى إقامة تمثال لهيرقوليس الإله الروماني الذي حل محل الإله ملكارت الفينيقي"[19] وأنني أرجح بأن بالقرب من هذا المبنى وخاصة الجهتين الشرقية والغربية توجد ديماس دفن؛ لآن الرومان وخاصة في بدايات اعتناق المذهب المسيحي وما حدث من اضطهاد لمعتنقيه أن " يلجا هولا إلى حيلة لكي يستمروا في عباداتهم بأن يختاروا مكانا بعيدا عن نظام حكام الرومان ويحفرون به مدخلا ينزل تحت الأرض ثم تحفر شوارع على الجانبين تمتد لعدة كيلو متر أحيانا وعلى الجانبين توجد حجرات الدفن ذات الأسقف المقببة "[20].

2- معبد شنيقير: يقع في ظاهر بلدة أولاد علي، وهو ثلاث حجرات، ولكنه محطم ويوجد في جهته الجنوبية إطار صخري قد يكون صوراً ضخماً مهدماً(الصورة مأخوذة 2003م)

صورة رقم (9) معبد شنيقير الصورة من الجهة الشرقية.

3-موقع كنيسة قديمة: وتعرف بهنشير(مسيد خروف) ويقع في بداية مدخل بلدة أولاد علي من الناحية الجنوبية، حيث قطعت أعمدة هذه الكنيسة عام 1217هـ- 1802 م واستخدمت في بناء المسجد بالبلدة، فهي عبارة عن ثمانية أعمدة أيونية، ولا يزال في

هذا الموقع العديد من القواعد التي قطعت منها الأعمدة، وكذلك وجود عمود مقطوع لا يزال في مكانه ويؤكد الباحث بنفسه في ثمانيات القرن الماضي كانت هناك صخرة مستطيلة بها نقوش تشبه الزهرة في خطوط متساوية ولكنها اختفت في السنوات الأخيرة(الصورة التالية تبين الأعمدة بالمسجد وهي مأخوذة سنة 2008)

صور رقم(10) تبين مجموعة الأعمدة الرومانية التي استخدمت في بناء مسجد بلدة أولاد علي

4- آثار معسكر البنية:

تقع آثار البنية جنوب مدينة الرياينة في أرض بلدة أهل العين وبلدة أولاد بحسين، ومن خلال الاسم يتضح بأنها كانت بناء كبيرا وتذهب الرواية الشعبية إلى أنها كانت معسكرا ولعل وجود بعض الدلائل على هذا المبنى قد يكون فعلا معسكرا حيث يوجد سور طويل نسبيا لا يزال الحائط الشمالي له عدة صفوف(الوصف من قبل الباحث خلال عام 2008) وموقع البناء يتجه نحو الجنوب حيث المنخفض الأرضي أمامه وكذلك وجود العديد من أطر الأرضيات به وبعض القطع الصغيرة من الأعمدة المبعثرة في الحفر العبثية والمحطمة من قبل الباحثين عن الكنوز، وفي الجهة الجنوبية الغربية حيث التبة توجد حجرة مقوســـة تفتح نحو الشرق، وكأنها برج حراسة، والملفت للنظر أن صفوف الصخور مصقولة من الخارج في حين متروكة كما هي من الداخل، ولا يوجد أي نقش، أو كتابة في الصخور الموجودة، وإن حدث تنقيب علمي ربما توجد هذه

النقوش، ماعدا نقش وحيد في صخرة بالحائط السالف الذكر، وهو على هيئة مثلث ربما يعطي إشارة إلى الآلهة تأنيت " وهي ربة الخصب والنماء ويرمز لها بكف اليد والمثلث وهي من أكثر الآلهة تقديسا في الشمال الأفريقي"[21] كما هي موضح في الصور التالية:

صورة رقم(11) تبين أثار البنية والصورة مأخوذة من الجهة الغربية

صورة رقم(12) نقش في صخرة بالحائط الشمالي على هيئة مثلث ربما يرجع إلى الآلهة تأنيت عند الفينيقيين

بالإضافة إلى العديد من الآثار التي لا تزال مدفونة في المنطقة وتحتاج إلى التنقيب مثل قصر الدشر بمنطقة العقيبة والهناشير الكثيرة في منطقة الظاهر.

رابعا- الشواهد الأثرية للعرب الفاتحين:

إن العرب الفاتحين عندما قدموا في موجة الفتح الأولى بقيادة عمرو بن العاص لم يستغرق الفتح للمدن أكثر من سنة ونيف حيث بدأت طلائع الحملات سنة(21هـ 641م - 22ه 642م) عندما وصلت إلى طرابلس وصبراتة ثم إلى شـــــروس التي تقع في

الجبل وهي إلى الغرب من الرياينة وهـــي حاضرة قبيلة نفوسة المنتشرة منازلهم من صبراتة إلى الجبل[22] ومما يعطي إشارة إلى أن حملة الفتح هذه مرت على أرض الرياينة وجود شاهد على ذلك وهو(مقبرة الصحابة)

تقع في الجهة الشرقية، من بلدة أولاد علي(في سفح الجبل أو مدخل ما يعرف باسم الخشة) والى الجنوب من مقبرة ساقية الجليطي، ليس معروفا سبب تسميتها بمقبرة الصحابة إلا أن الرواية المتداولة حولها بأنها مقبرة إسلامية تعود لأيام الفتح العربي الإسلامي، وبأن هؤلاء الصحابة وافتهم المنية في هذه المنطقة، وتصمت الروايات عن سبب موتهم هل كان بسبب عمليات الفتح أم بسبب آخر، وما تؤكد عليه الروايات هو بركة هذه المقبرة وكثيرا ما زارها أهالي البلدة، وإقامة صلاة الاستسقاء بها أثناء سنوات الجفاف، فلا يعودون إلى البلدة إلا والأمطار تبلل ملابسهم، إلا أن في العقود التالية استخدمتها الحركات الصوفية بطريقة غير سليمة، حيث تذبح الذبائح، وتقام الحضرة وتضرب الدفوف ويعزف الناي مما جعلها تستهجن من قبل الجميع بفضل انتشار التعليم، ونقصت في السنوات الأخيرة الزيارات المنظمة إلى هذه المقبرة مما جعل أيادي التخريب تطال أجزاء منها، ويمكن وصف المقبرة عند زيارتي لها يوم السبت 20. 12. 2009م وتقسيمها إلى خمس أجزاء وهي:

1- المجموعة الأولى: وهي من وجهة نظري أساس هذه المقبرة فهي في الجهة الغربية وتشمل حوالي عشرة قبور متراصة بجوار بعضها البعض ومتجة من الشرق إلى الغرب وكل الحجارة حول القبور تكاد تكون نفس الحجم ولم تصلها أيادي المخربين إلا في ثلاثة قبور التي في الجهة الشمالية من المجموعة حيث متحركة الأتربة من أعلى أما محوطات القبور من الخارج لا تزال في أماكنها.

2- المجموعة الثانية: فهي التي تقع إلى الشمال من المجموعة الأولى يفصل بينها متر تقريبا فهي متداخلة والحجارة مكدسة على بعضها ويتضح بأن القبور متجه من الجنوب إلى الشمال وهي حوالى ستة قبور.

3- المجموعة الثالثة: وهي على طول المجموعة الأولى من جهة الشرق وإن كانت الحجارة متحركة كثيرا في الجهة الشمالية بها كومة من الصخور ربما جلبت لتكون شاهدا حيث يشعل فيها البخور عند الزيارات، وهذه المجموعة مختلطة كثيرا ولا أستطيع تحديد عدد القبور.

4- المجموعة الرابعة: من ملامحها بأنها حديثة نسبيا بمقارنتها مع بقية المقبرة، حيث توجد شواهد القبور من الطرفين في بعضها وبعضها الآخر مغطى تماما بالحجارة و

بها قبور صغيرة لأطفال ويبلغ عددها حوالى أحد عشر قبرا ويوجد قبر في نفس المجموعة يقع في الطرف الجنوبي الغربي من المقبرة منخفض كثيرا مقارنة مع القبور القريبة منه.

المجموعة الخامسة: وهي تقع إلى الشمال بالقرب من الساقية بها قبور متناثرة وغير منتظمة وبها قبران محفوران أحدهما يمتد من الشرق إلى الغرب بحوالى مترين وعمقه حوالى متر(القياس غير دقيق) ومن جهته الشمالية قبر محفور بشكل دائري بعرض حوالى خمسون سنتمتر وعمق حوالى متر ونصف وبجوار هذه الحفرة دائرة من الصخور وتكثر في هذه الجهة أكوام من الحجارة فربما هي قبور أيضا- (الصور مأخوذة سنة 2009م)

صورة رقم (13) تبين مقبرة الصحابة وهي مأخوذة من الجهة الغربية.

صورة(14) قبر منبوش في مقبرة الصحابة الصورة مأخوذة من الجهة الجنوبية

خامسا- الشواهد الأثرية للعرب المهاجرين:

يقصد بالعرب المهاجرين تلك الهجرات المنظمة التي سمح بها الفاطميون، التي خرجت في مجموعتين كبيرتين وهما بنو هلال(442هـ- 1053م) وبنو سليم(449هـ- 1060م) التي أدت إلى تغيرات سكانية في الشمال الأفريقي.

يوجد شاهد في وسط بلدة أولاد علي يعرف(بماجن الهلالية) وأحيانا (ماجن بو هلالة) بالرغم من تنوع الروايات حول هذا الصهريج بين تلك الروايات التي تعيده إلى أهالي قصر ادر (بربر) بسبب وقوعه على الطريق بين قصر أدر ومنطقة الظاهر الزراعية التي تدور حولها العديد من القصص ومنها قصة هجرة أهالي القصر نحو الغرب، والروايات التي تعيده إلى الرومان بسبب قربه من منطقة بنيان التي يعتقد بأنها رومانية، إلا أن بعض الروايات تذهب إلى أنه يعود إلى بني هلال، وهو عبارة عن صهريج كبير الحجم توجد على فوهته صخرة كبيرة مثقوبة، وبها حوض سقاية صغير الحجم، ويستخدم الصهريج في الشرب إلى عهود قريبة؛ نتيجة لكبره، فهو يكفي أهالي البلدة طيلة فصل الصيف عندما يمتلئ بالمياه في فصلي الخريف و الشتاء، وذلك باستخدام نظام متعارف عليه من قبل الجميع، بحيث يقفل من قبل شيخ، ويتم فتحه بإشرافه ويسمح لكل امرأة أن تحمل قربة واحدة في اليوم، أي حصة عائلتها في ذلك اليوم، ومن تتخلف عن الحضور تحرم من حصتها، ولهذا يعرف بماء القربة وتستطيع أي عائلة أن تبيع حصتها من المياه إلى عائلة أخرى، وتجلب المياه من الأماكن البعيدة (الصورة مأخوذة سنة 2003م)

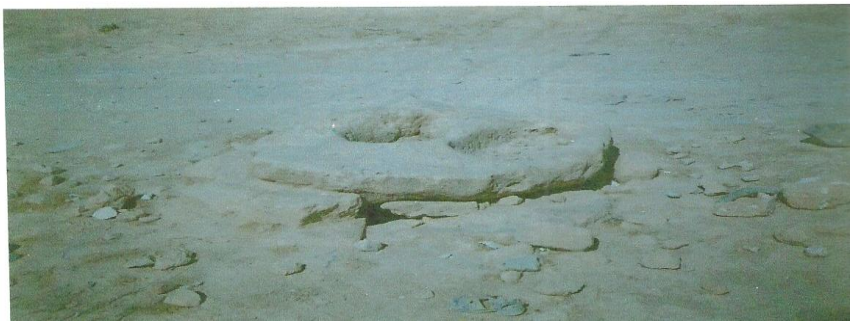

صورة رقم(15) ماجن بني هلال(أبوهلالة) الصورة من الجهة الشرقية.

سادسا- الشواهد الأثرية للعهد العثماني:

إن العهد العثماني تم تقسيمه تاريخيا في ليبيا إلى ثلاث فترات: الأولى من عام 1551م– 1711م وعرفت العهد العثماني الأول، والثانية من عام 1711م- 1835م وعرفت بالعهد القرمانلي، والأخيرة من عام 1835م– 1912م عندما وقعت اتفاقية

أوشي لوزان ما بين الأستانة وروما، وبموجبها سحبت الدولة العثمانية جنودها من طرابلس الغرب وبرقة، وعرفت هذه الفترة بالعهد العثماني الثاني، ويمثل الشاهد الأثري العثماني في بقايا(قصر الحرّاق) وهو عبارة عن مكانيين الأول في حافة الجيل ويقعان في أرض بلدة أهل العين وأولاد عبد العزيز، ويعتقد بأنه المبنى الأول الذي استخدمه العثمانيون حيث مبني من الحجارة ومادة الجبس وبه عدة حجرات وساحة ولكنه محطم بدرجة كبيرة والصورة التالية توضح ذلك:

صورة رقم(16) تبين هذا قصر الحراق القديم وهي مأخوذة من الجهة الغربية

ثم بعد بناء المبنى الأحدث استخدم إسطبل للخيول، أما القصر الأحدث فهو يقع إلى الغرب من الأول على حافة الجبل ويحمل نفس مواصفات المبنى القديم إلا أنه أكثر اتساعا ولا تزال بعض جدرانه سليمة، وتذهب الروايات المتداولة حوله إلى أنه استخدم من قبل المدير العثماني ثم تم تحديثه بفعل الإيطاليين واستخدامه قبل بناء المبنى الجديد في وسط المدينة سنة 1929م والانتقال إليه.

صورة رقم(17) تبين قصر الحراق الحديث والصورة من الجهة الغربية 2022)

الخاتمة:

إن مدينة الرياينة الرابضة على الجبل الغربي كانت منذ أزمنة موغلـــــة في القدم، أحد مناطق الاستيطان البشري، وتوالت عليها أمم وشعوب ، حسب مقتضيات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية والمؤثرات المناخية والبيئية، مما جعل هناك شواهد أثرية عديدة ومتنوعة ، لذلك تم التطرق إلى هذه الشواهد من خلال موقع مدينة الرياينة وأهميتها كمركز استيطاني بشـــــري ، كما أنها قريبة من مدن الاستقرار على جنوب البحر الأبيض المتوسط والمتمثلة في مدينة صبراته ومدينة طرابلس، بالإضافة إلى خصوبة تربة سهل الجفارة الممتد من الساحل إلى الجبل، حيث استفادت هذه المجموعات البشرية التي سبقتنا من خصوبة الأرض في منطقة الظاهر وأودية الجفارة، وكذلك وفرة المياه الجارية أو بتجميع مياه الأمطار في الصهاريج، واستخدام الصخور ومادة الجبس في البناء والتعمير، وبالتالي كثرت الإنشاءات المعمارية في مختلف أجزاء مدينة الرياينة من خلال الهناشير الواضحة المعالم، أو الكهوف والمغاور في تجاويف الجبل، وشق الطرق، والمسالك في مختلف جوانبها، مما جعل هناك أشكال مختلفة لما تركته تلك الأمم من شواهد على تواجدها في هذه المدينة؛ ولان هذه الشواهد تتعرض باستمرار إلى التهالك بفعل الزمن والتغيرات المناخية والبيئية، وبسبب إهمال الجهات المعنية بإقامة مراكز بحثية متخصصة لدراستها، والمحافظة عليها ساعد على سرعة تخريبها والعبث بها من أولئك الذين لا يدركون قيمتها الأثرية، والحضارية، والسياحية، لذا كان هذا البحث نوعا من التوثيق لبعض هذه الشواهد، والذي اعتمد على المصادر والمراجع، والروايات الشعبية المتداولة والزيارات الميدانية، والوصول إلى تفسيرات شخصية من قبل الباحث، واشتمل على بعض الشواهد الآتية:

(البربرية: قصر ادر)- (الفينيقية: مذبح الززيرة)- (الرومانية: معبد الززيرة- معبد شنيقير- مسيد خروف- معسكر البنية)-(العرب الفاتحين: مقبرة الصحابة)– (العرب المهاجرين: صهريج أبو هلالة) – (العثمانيين: قصر الحراق).

الهوامـــــــــــــش:

1-محمد إبراهيم حسن: دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، بيروت: مطابع الشروق، بنغازي : منشورات جامعة قاريونس، د: ت، ص 438.

2- أحمد محمد أنديشة: التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، مصراته: دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1993م ، ص 126.

3-ابن خلدون: تاريخ العبر، تحقيق لجنة من العلماء، الجزء السادس، بيروت: دار الفكر، د:ت، ص 109.

4- الحسن بن محمد الوزان الفاسي(ليون الإفريقي): وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة: الثانية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص 106.

5- عبداللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، بنغازي: الجامعة الليبية، 1971م، ص 362.
6- أحمد محمد أنديشة: مرجع سابق، ص 205.
7- عبداللطيف محمود البرغوثي: مرجع سابق، ص 362.
8- أحمد محمد أنديشة: مرجع سابق، ص 193.
9- بخصوص هذا الهنشير ينظر الجزء الرابع من كتابنا: دراسات حول بلدة أولاد علي بالجبل الغربي ،تاريخية، اجتماعية، أثرية، الدراسة السادسة: متفرقات قد تكون مهمة ، طرابلس: شركة العالمية الأولى للطباعة والدعاية والإعلان، 2021، ص 157،151.
10-ماريو كوسي: عبر الجبل(رحلة ماريو كوسي عبر جبل نفوسة) ترجمة: عبدالوهاب الداب، مراجعة : موحمد ؤمادي، جبل نفوسة: منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، 2013م ، ص72، 73، للمزيد حول الأزهار التي تم ذكرها ينظر إلى: حسان قبيسي: معجم الأعشاب والنباتات الطبية، الطبعة: السادسة، بيروت: منشورات دار الكتب العلمية، 2004، ص 54، 83، 156، 161.
11- إبراهيـــــم سليمان الشماخي : القصور والطرق لمن يريد جبل نفوسة من طرابلس1303-1885م، ترجمة: أحمد مسعود الفساطوي، دراسة وتقديم: أمحمد سعيد البوجديدي وآخـــــرون، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2005م، ص73.
12-على رضا معين: طرق المواصلات في طرابلس الغرب 1918م ، المجلد الأول والثاني ، ترجمة: عبدالكريم أبو شويرب، مراجعة: صلاح الدين حسن السوري، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2002م، ص 282.
13- محمد سعيد القشاط: التـــوارق عرب الصحراء الكبرى، الطبعة: الثانية، طرابلس: منشورات مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، 1989م، ص 13.
14- ه. س. كاوبر: مرتفع الإلهات الجمال، استكشاف الهياكل الثلاثية والمواقع المغيليثية في طرابلس، تعريب: أنيس حسن زكي، طرابلس: مكتبة الفرجاني، د: ت، ص 115، وما بعدها.
15-ر.ج. جودتشايلد: دراسات ليبية، ترجمة: عبدالحفيظ فضيل الميار، أحمد اليازوري، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999م، ص 129.
16-تتردد هذه الرواية عند الكثير من الشيوخ الكبار في بلدة أولاد علي ولكن اعتمدت على رواية عاشور إمحمد قشوط والمبروك أحمد قشوط بأنهما كانا يخلعان الصخور المستوية التي تقع بالقرب من أملاكهما بجوار هنشير إحميدة وتوضع كمحوطات حول أشجار الزيتون.
17- فاطمة محمد سليمان المعلول: مدينة يفرن، دراسة في جغرافية المدن، القاهرة: د: ن، 2006م، ص 43.
18- عبداللطيف محمود البرغوثي: مرجع سابق، ص 619.
19- نفس المرجع السابق: ص 619.
20-محمد على عيسى: مدينة صبراتة، طرابلس: مصلحة الآثار، 1978م، ص 84.
21-أنور ابو زعينيين: صدى الأفكار الروحانية والعقائد الدينية في معزوفات الآثار الليبية، رقم(2) طرابلس: مطبعة المستقبل، 2009م، ص 51.
22- اليعقوبي، نعيمة سعيد(2020) "يفرن خلال القرن التاسع عشر" رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، مدرسة العلوم الإنسانية، الأكاديمية الليبية، جنزور، ص 28.